

إدراك المباني ذات القيمة في البيئات العمرانية

د. شوكت محمد لطفي القاضي، د. عزت عبد المنعم مرغني
قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط.

ملخص البحث:

إن عملية إدراك المباني ذات القيمة لا تقتصر على خصائص المبنى فقط؛ ولكنها تتطلب توفير البيئة المحيطة الملائمة للمبنى بحيث لا تطغى المباني المجاورة على هذه المباني قدر الإمكان، كما تتطلب توفير زوايا رؤية جيدة للمبنى مع الشوارع المحيطة.

وتتلخص إشكالية هذه الدراسة في أن بعض المباني ذات القيمة تتعرض للعديد من حالات التعدي البصري سواء من الأهالي أو الجهات الحكومية - وخاصة تلك المسئولة عن التخطيط للمرور في المدن المصرية- مما يسبب خلل في تكوين الصورة الذهنية للمباني الهامة وذات القيمة.

ويهدف البحث إلى دراسة المشكلات البصرية التي تتعرض لها المباني ذات القيمة في ظل عمليات تطوير وتأهيل مراكز المدن وحل مشكلاتها الناتجة عن النمو المتزايد والمتسارع وما يتبعه من إجراءات تخطيطية وحلول لمشكلاتها، للوصول لتصور للإجراءات الواجب اتباعها للتعامل مع النسيج العمراني المحيط بهذه النوعية من المباني.

وتنقسم الدراسة إلى أربعة أجزاء؛ يشمل الجزء الأول إشكالية البحث وأهدافه والمناهج البحثية المستخدمة في الدراسة، بينما يشمل الجزء الثاني مدخل نظري يتناول مفهوم المبنى ذو القيمة وأهمية إدراكه، كما يتناول أيضا دراسة لأهم العوامل المؤثرة على إدراك تلك النوعية من المباني، والجزء الثالث عبارة عن دراسة حالة لأحد المباني ذات القيمة بمدينة أسيوط من حيث المشكلات التي تؤثر على إدراكه، أما الجزء الأخير فهو عرض لبعض التجارب للتعامل مع المباني ذات القيمة.

ويخلص البحث إلى أن المشكلات البصرية تنتج غالبا من افتقاد المباني والمنشآت الجديدة للدراسات المتكاملة والتي قد تكفل تحقيق الاتزان البصري للمدينة، وينتهي البحث بمجموعة من التوصيات التي من الممكن أن تشكل منهج عمل للتعامل مع البيئة البصرية للمدن.

١- المقدمة:

إن تصميم البيئة الحضرية التي تعبر عن شخصية المدينة هي عملية معقدة تستلزم العديد من الدراسات والتي يمكن تقسيمها إلى مجالين رئيسيين لا بد من إتمامهما تباعا فهما جهان لعملة واحدة، الأول يتناول الاحتياجات الوظيفية، والآخر يعكس مظاهر الرؤيا المتكاملة مع الوظيفة الحسية، وهو ما يساعد على تنمية شبكة بصرية متسلسلة ومتجانسة داخل إطار المدينة.

والمجال الأول من الدراسة التصميمية يهتم بالخصائص الحسية الملموسة مثل حجم وارتفاع المبنى واتساع الشوارع وملمس خامه البناء والكثافات البنائية وأنواع الأنشطة السكانية، وهذا النوع من التصميم الحسي الملموس (الذي يسهل حسابه بالأرقام) يلقي ترحيبا لدى المعمارين والمخططين.

بينما المجال الثاني من التصميم لمظهر المدينة غالبا ما يكون نصيبه الإهمال وخاصة في الدول النامية، وهذا الجانب يتناول الجوانب البصرية اللازمة لتكوين نوع من الإدراك البصري للمدينة وكياناتها المادية، فالتخطيط الحضري للمدينة يتطلب بالضرورة وجود علامات مميزة تمثل مرجعية بصرية لسكان المدينة وزائرها مما يكسب المدينة بشكل عام طابعا مميزا، كما يكسب كل منطقة من مناطقها المختلفة شخصية خاصة، وتعد المباني ذات القيمة مثال لذلك النوع من المرجعيات البصرية الإدراكية بالإضافة لكون بعضها ثروة ثقافية وتراثية هائلة.

فعلمية إدراك المباني ذات القيمة لا تقتصر على خصائص المبنى فقط؛ ولكنها تتطلب توفير البيئة المحيطة الملائمة للمبنى بحيث لا تغطي المباني المجاورة على هذه المباني قدر الإمكان، كما تتطلب توفير زوايا رؤية جيدة للمبنى مع الشوارع المحيطة.

١-١ إشكالية الدراسة:

يمكن تلخيص إشكالية الدراسة في أن بعض المباني ذات القيمة تتعرض للعديد من حالات التعدي البصري سواء من الأهالي أو الجهات الحكومية المسؤولة - وخاصة تلك المسؤولة عن التخطيط للمرور في المدن المصرية- وغالبا ما تغطي الحلول التي تتخذ لحل بعض المشكلات التخطيطية (مثال: مشاكل المرور) على إدراك المباني المحيطة وبخاصة المباني ذات القيمة.

٢-١ هدف الدراسة:

يهدف البحث إلى دراسة المشكلات البصرية التي تتعرض لها المباني ذات القيمة في ظل عمليات تطوير وتأهيل مراكز المدن وحل مشكلاتها الناتجة عن النمو المتزايد والمتسارع وما يتبعه من إجراءات تخطيطية وحلول لمشكلات بصورة منفردة تفقد للتكامل في بعض الأحيان، للوصول لتصور للإجراءات الواجب اتباعها للتعامل مع هذه النوعية من المباني.

٣-١ منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي في تحديد المشكلات التي تواجه المباني ذات القيمة بالإضافة إلي الزيارات الميدانية للتعرف على هذه المشاكل على الواقع، كما تم الاستفادة من المراجع والدراسات للحصول على المعلومات النظرية المتعلقة بالموضوع.

وتركز الدراسة على أحد أنواع المباني ذات القيمة وهي المباني الدينية من خلال التعرف على المشكلات التي تعوق أداء تلك المباني لوظيفتها البصرية.

٢- مدخل نظري:

تشهد المدن المصرية حركة تعمير وإنشاء واسعة النطاق في مواجهة المعدلات المرتفعة للنمو السكاني، كما تشهد شوارع وميادين المدن المصرية تغيرات كبيرة لمواكبة التدفق الهائل للمرور بها والذي يتزايد يوما بعد يوم، وتجرى هذه التغيرات دون مراعاة الحفاظ على الخصائص والمقومات الخاصة بكل مدينة ومراعاة المباني ذات القيمة بهذه المدن^[١٢]. وحيث أن عملية الإدراك البصري للمباني لا ترتبط بها بصورة المبنى منفردا ولكنها ترتبط بالبيئة المحيطة مما قد ينتج عنه تشويش على الإدراك البصري لتلك النوعية من المباني.

ويمكن تلخيص المفاهيم المميزة لتحقيق التوازن البصري في المناطق التي تتضمن مباني ذات قيمة في الاعتبارات التخطيطية والمعمارية التالية^[١٤]:

- ١- احترام الطابع العام في التخطيط من حيث البناء والشوارع والممرات.
- ٢- احترام الفراغات والمساحات التي تخدم الرؤية البصرية للمبنى اعتمادا على الدراسات الفراغية الأفقية والرأسية.
- ٣- دراسة محاور الحركة حول المبنى.
- ٤- التركيز على احترام السيطرة البصرية المبنى وعدم التشويش عليه بعناصر متداخلة.
- ٥- الانتفاع بالعناصر التكميلية التي تساعد في تهيئة الظروف المناسبة لإدراك المبنى بصريا.
- ٦- المحافظة على المبنى والصيانة الدورية له.

٢-١ المباني ذات القيمة:

إن قيمة أي شيء بصفة عامة ترتبط بنوعية الاحتياجات البشرية ومن الممكن تحدد بأكثر من وسيلة، حيث تعبر القيمة عن مدى استحقاق الشيء ومكانته سواء كان هذا الاستحقاق يقدر تقديرا معنويا أم ماديا أم كليهما معا، وفي مجال العمارة يكتسب المبنى قيمة من ثلاثة مجالات رئيسية يمكن من خلالها فهم قيمة المبنى وهي [١٥]:

- القيمة التاريخية: حيث قيمة المبنى ناتجة عن مؤشرين أساسيين أولهما هو المؤشر الزمني والذي يرتبط بفترة إنشاء المبنى، وثانيها هو المؤشر الرمزي حيث قيمة المبنى ناتجة عن المعاني الإيحائية التي يحملها المبنى والتي تمثل تجسيد ملموس لموقف أو اتجاه أو معتقد.
- القيمة الفنية: يكتسب المبنى قيمته من كونه عملا فنيا جماليا وهي ترتبط بالمفاهيم الجمالية السائدة في الفترات الزمنية المختلفة مما يصعب من إمكانية الاتفاق عليها في بعض الأحيان، وتعتبر المباني ذات القيمة البصرية والتشكيلية من المباني التي يسهل تمييزها داخل المدينة ومن خلالها يمكن تكوين صورة بصرية ذات الطابع الخاص.
- القيمة العملية: وهي على العكس من القيمة التاريخية والفنية المرتبطة بالجوانب المعنوية نجد أن القيمة العملية مرتبطة بوظيفة المبنى ومدى الاحتياج له.

٢-٢ إدراك المباني ذات القيمة:

ويمثل الإدراك البصري الوسيلة الرئيسية للتعرف على خصائص عناصر التشكيل البصري للمدينة، وإدراك شخص ما لأي مدينة بصريا هو قدرته على تخيل الهيكل البنائي لها، وسهولة إدراكه لعناصر المدينة وأجزائها المختلفة [٣]، وترجع أهمية إدراك المباني ذات القيمة إلى أنها أحد المكونات البصرية الرئيسية للمدينة والتي تحتاج لتوفير ظروف مناسبة تساعد على سهولة إدراكها ومن ثم إضافتها إلى الهيكل البصري للمدينة.

٢-٢-١ الإدراك:

يطلق لفظ الإدراك في علم النفس كاصطلاح للعملية العقلية التي تتم بها معرفتنا للعامل الخارجي عن طريق التبيهات الحسية [١٥]، ويمكن تعريف الإدراك بأنه في الأساس تفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به، حيث توضح هذه البيئة العلاقات والتميزات وعلى الإنسان المدرك لها أن يختار وينظم ويصف بمعاني واضحة ما يراه، والإدراك البصري يعتمد على ثلاثة مجموعات من العوامل هي [١١]:

- طبيعة العنصر المدرك (المميزات التشكيلية مثال السيطرة أو التقرد أو البساطة، وكذلك المميزات المعنوية والتي ترتبط بالحاجة للمبنى: مثال المباني الخدمية، ومن الممكن أن تتمثل في القيمة الروحية للمبنى: مثال المباني الدينية).
- طبيعة المشاهد (الصفات الشخصية والحالة النفسية والمعلومات والخبرات السابقة والحاجات والرغبات الذاتية).
- ظروف عملية الإدراك (علاقة المبنى بالخلفية المحيطة و ظروف الإضاءة وزاوية الرؤية وزمنها وسرعة الحركة حول ونحو المبنى).

وحيث أن طبيعة المشاهد تختلف باختلاف الشخص ويصعب التحكم فيها؛ لذا فإن طبيعة العنصر المدرك والتحكم في ظروف عملية الإدراك تظل هي العامل الذي يمكن للمصمم التحكم فيه من أجل توفير أعلى فرص ممكنة لإدراك العمل.

ومن هنا يتضح أهمية التفهم الكامل لعوامل التركيز البصري وبالمثل عوامل تشتيت التركيز البصري حتى يحقق التكوين العمراني الهدف المرجو منه، فهناك عوامل مختلفة تساعد على التركيز البصري مثال تأكيد محورية التشكيل/ تدرج الارتفاعات المحيطة بالهدف البصري/ التباين مع الهدف المرئي/ العلاقة مع العناصر المحيطة [٥].

٢-٢-٢ العوامل المؤثرة على إدراك المباني ذات القيمة:

هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على إدراك المباني ذات القيمة نتيجة لبعض الممارسات التخطيطية والمعمارية غير المدروسة في بعض الأحيان، أو تلك التي تجعل لعملية التصميم البصري للمدينة مرتبة متأخرة في أحيان أخرى، ويمكن تلخيص أهم تلك العوامل في:

- الإضافات التخطيطية.
- تغير القوانين المنظمة للبناء.
- إهمال دراسة العلاقة بين المبنى والخلفية.
- الامتداد الرأسي للمباني.

٢-٢-٢-١ الإضافات التخطيطية والعوائق البصرية الناتجة عنها:

تعد الكباري العلوية سواء للمشاة أو السيارات أحد الحلول التخطيطية لحل سيولة حركة المشاة وكذلك لحل مشكلة التكدس للحركة الآلية على الطرق الرئيسية و نقاط التجمع الرئيسية، ورغم أن هذا الحل قد سبقتنا إليه معظم دول العالم إلا أنه كان يدرس من الناحية الهندسية الإنشائية فقط، ولم يدرس من الناحية البصرية مما قد ينتج عنه تشويه المباني خاصة التاريخية والدينية^[١].

وقد اهتمت الدولة بعمل الكباري العلوية للسيارات والمشاة لحل مشكلة المرور ورغم تنوع الأفكار والحلول التي طرحت لحل المشكلة إلا أن النتيجة كانت كتلا خرسانية أصبحت تعلو شوارعنا في صورة كباري علوية تقطع الفراغات العلوية وترتكز على أعمدة خرسانية قسمت فراغ الشوارع والميادين^[١]، ومع ظهور هذه الكباري تحطمت المتتابعات البصرية وأصيب المشاهد بالملل وضاعت قيمة من القيم البصرية للمدينة، وخصوصا المباني ذات القيمة نتيجة لعدم التكامل مع البيئة المحيطة بها مما أدى إلى مجموعة من المؤثرات السلبية مثل^[١]:

- تقسيم الفراغات وتحطيمها وتقليل الاستمتاع بالمتابعة البصرية.
- تحطيم المشاهد ذات القيمة وإيجاد مشاهد غير مرغوب فيها.
- تحطيم المفهوم القديم للميدان وتشويه المباني خاصة التاريخية والدينية.
- التأثيرات البيئية مثل التلوث البيئي والسمعي وضعف التهوية وأشعة الشمس.
- انعدام الخصوصية للمساكن المجاورة.

لذا يجب أن يفي الكوبري - من شكل ومضمون وأسلوب إنشائي- بالغرض التشكيلي والتكامل البصري أيضا، فإذا افترن الكوبري بمنطقة ذات طابع خاص أو منطقة تراثية أو تاريخية وجب الاهتمام بالتوافق مع الطابع المحيط أو إيجاد بدائل تصميمية أو تخطيطية أخرى لتحقيق بيئة عمرانية متجانسة.

٢-٢-٢-٢ تغيير قوانين البناء:

تعتبر قوانين تنظيم البناء المحدد الرئيس لنمط الكتل البنائية من حيث الارتفاعات تحديدا؛ غير أن تغير اشتراطات البناء من فترة لأخرى قد يكون له بعض التأثيرات البصرية السلبية في بعض المناطق، فعلى سبيل المثال السماح بإزالة القصور القديمة والفيلات وتحويل مواقعها إلى أبراج سكنية أو إدارية مرتفعة - رغم أنه لا يتعارض مع مبدأ حرية التصرف في الملكيات الخاصة في ضوء القانون التشريعات العمرانية- إلا أنه قد يكون له العديد من السلبيات التخطيطية مثل زيادة الضغط على المرافق الأساسية والتي صممت لكثافات سكنية أقل وكذلك زيادة كثافات المرور، مما قد يستدعي البحث عن حلول تخطيطية قد يكون لها سلبياتها ومنها السلبيات البصرية، ولا تكاد السلبيات تقتصر على النواحي التخطيطية ولكنها قد تؤثر على خط السماء الذي استقر لفترة وسمح باستخدام بعض المباني ذات القيمة كعلامات بصرية في المنطقة.

٢-٢-٢-٣ العلاقة بين المبنى والخلفية:

الإدراك البصري للمباني ذات القيمة تتأثر لحد كبير بالبيئة المحيطة به وخلفيته البصرية فمن الممكن أن يمر الشخص أمامه ولا يعرف أن هناك مبنى ذو قيمة متواجد بالمكان لانشغال نظره

بالأنشطة المتواجدة بالمنطقة مع ضيق المكان الذي لا يسمح للمشاهد برؤية العنصر متكامل بل يرى أحيانا جزء منه وأحيانا لا يراه تماما [٤].

٢-٢-٢-٤ الامتداد الرأسي:

في ظل الارتفاع الكبير في أسعار الأراضي في المدن المصرية وخاصة المراكز زاد الاتجاه نحو الامتداد الرأسي من خلال هدم المباني القديمة ذات الارتفاع المنخفض واستبدالها بأخرى مرتفعة تحقق أقصى استفادة اقتصادية للأرض متجاهلة ما حولها بيئة بصرية استقرت لفترة، ورغم أن هذا الارتفاع يدرس من خلال قانون المباني الذي يحدد الارتفاعات في المنطقة، إلا أنه يجب أن يكون المبني بعد إتمامه متكاملًا وما حوله من مباني ونابعا من البيئة المحيطة حتى لا يظهر كعنصر متنافر وباقي العناصر المجاورة [٤].



٣- دراسة حالة..التعدي على جامع ناصر بأسيوط:

أقيم مسجد ناصر في الستينات من القرن الماضي ويقع في مدينة أسيوط، ويشكل أحد المعالم الرئيسية لميدان المنفذ، وهو نموذج للمساجد التي تقيمها وزارة الأوقاف في المدن المصرية المختلفة والتي تنتمي للاتجاه التقليدي المحافظ في عمارة المساجد (مساجد حديثة في أسلوب بناءها ولكنها تقليدية في عمارتها وطرازها)، والذي أرساه المعماري الإيطالي "ماريو روسي" وسار على نهجه العديد من تلاميذه، وتعتبر هذه النماذج تطورا للطراز المملوكي المصري وتتميز بمستوى جيد من التنفيذ والتشطيب [٨].

٣-١ قيمة المبني:

- يمثل مسجد ناصر أحد المرجعيات البصرية لمدينة أسيوط والتي تكتسب قيمتها من عدة عوامل هي:
- موقع المبني في قلب المدينة مما يجعله أحد العلامات البصرية المرجعية.
 - طبيعة المبني كأحد المباني الدينية التي تمثل قيمة روحية.
 - التكوين المعماري للمساجد عموما حيث يعتبر المسجد علامة أرضية يرى من عدة محاور ومآذنه ترى من مسافات بعيدة ويمكن للسائر أن يهتدي لموقعه بسهولة من عدة أماكن واتجاهات.

٣-٢ تحليل للمشكلة (العوامل المؤثرة على إدراك المبني):

- ظل مسجد ناصر ولفترة طويلة منذ إنشائه أحد العلامات البصرية لمدينة أسيوط، ويمكن رصد ظاهرتين أثرتا على إدراك المبني وكان لهما أثر واضح في التشويش البصري على المسجد وهما:
- ظاهرة هدم القصور القديمة واستبدالها بأبراج سكنية وإدارية مرتفع للاستفادة من قيمة الأرض والموقع.
 - ظاهرة زيادة الكثافة المرورية والنتيجة عن زيادة السكان وارتفاع معدلات امتلاك السيارات وما تبع ذلك من اختناقات مرورية وخاصة ساعات الذروة.
- ويمكن تلخيص أسباب أهم المشكلات البصرية التي يتعرض لها المسجد في جانبين:
- الأول هو إقامة أبراج ضخمة بجانب المسجد ترتفع عنه وتغطي عليه بصريا.
 - والثاني هو إقامة كوبري يعبر ميدان المنفذ ويعوق الرؤية البصرية للمسجد.

٣-٢-١ الجانب الأول من المشكلة: والذي يتمثل في موقع المسجد، حيث أنه يحتل منطقة هامة في وسط مدينة أسيوط وهي ميدان المنفذ، حيث ترتفع أسعار قطع الأراضي بشكل كبير، ويعتبر شارع الجمهورية والنميس والمنقرعان من ميدان المنفذ الإمتداد الحالي للمركز التجاري للمدينة مما أدى هدم العديد من المباني القديمة وإنشاء أبراج جديدة سكنية وتجارية وإدارية، حيث تم هدم قصر قديم كان يطل على ميدان المنفذ وإقامة برج ضخم تم الانتهاء منه وآخر جاري إنشائه مكان مبني قديم. الأول قريب من

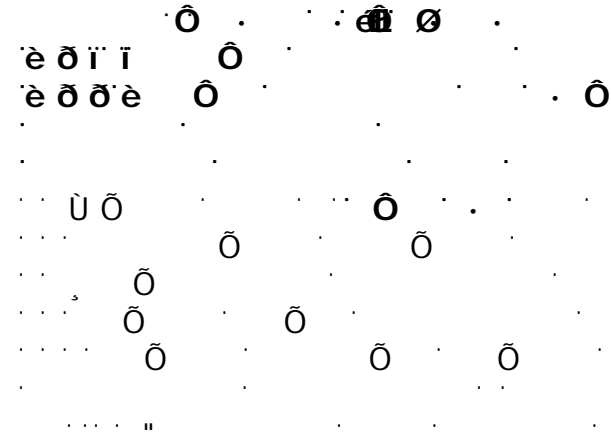
المسجد ولم يراع في دراسة واجهته مكانة المسجد المجاور له من حيث الارتفاع أو الدراسة المعمارية للبرج ومفرداته ولا من حيث اختيار الألوان التي تتناسب مع لون واجهة المسجد حيث جاءت واجهة البرج قاتمة اللون وتطغى على اللون الفاتح للمسجد مما يجعل البرج بؤرة بصرية بينما الثاني يؤثر على التكوين البصري من زوايا أخرى كما يتضح من شكل (٢) و شكل (٣)، ويمكن القول بأن الخلفية المحيطة بالمسجد غير مناسبة مما يؤدي إلى التشويش على إدراك المبنى.



شكل رقم ٢



شكل رقم ٢



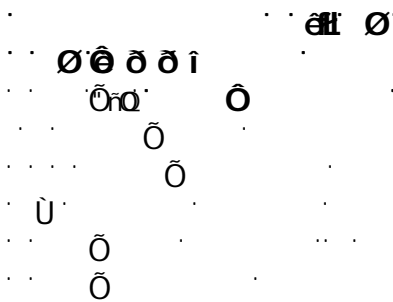
شكل رقم ٣



شكل رقم ٣



شكل رقم ٣

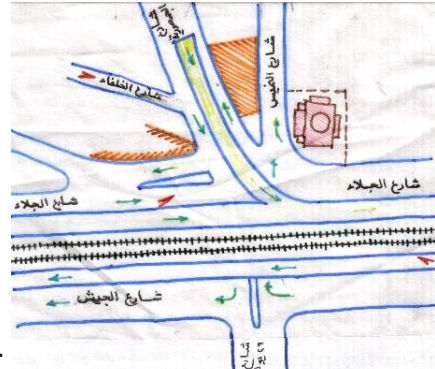


ب الرؤية

٣-٢-٢ أ

البصرية للمسجد، حيث يقع المسجد في منطقتين يفصل بين حي شرق وحي غرب (سكني يبعد عن المسجد)، فهناك ضغط مروري كبير على هذه المنطقة مما دعي السلطات المعنية إلى محاولة حل اختناق المرور في هذا الميدان في ساعات النهار المختلفة بإنشاء ثلاث كبارى ونفق تعمل مع بعضها البعض على سهولة المرور بين حي شرق وحي غرب واللذان يفصلهما عن بعضها البعض شريط السكة الحديدية - شكل رقم (٤). ويمر أحد هذه الكباري بميدان المنفذ حيث يتم من خلاله نقل حركة المرور من شارعى الجلاء وشارع الجمهورية إلى منطقة المحطة وهذا الكوبري بفرعيه يخترق ميدان المنفذ مما أدى إلى

التشويش على السيطرة البصرية التي كان تتمتع بها واجهة مسجد ناصر في الميدان للآتي للمسجد من شارع الجلاء كما يتضح من شكل (٥).



وإذا نظرنا لجدوى إنشاء الكوبري وبخاصة فرعه القادم من شارع الجمهورية نجد أن عدد المركبات التي تستعمله على مدار اليوم قليل ولا يتناسب مع نفقات إنشائه والتشويه البصري الذي حدث لميدان المنفذ بعد إنشاء هذا الكوبري وهو ما قد يطرح السؤال التالي: هل الحفاظ على التكوين البصري للميدان ومبانيه ذات القيمة له أولوية تفوق حل مشاكل الاختناق المروري الذي يتكرر يوميا ساعات الذروة؟ كثير من الناس يعتبر أن حل مشكلته المروري في منطقة المركز أهم بكثير من قيمة أي مباني مجاورة.

٤- تجارب وخبرات سابقة لكيفية التعامل مع المباني ذات القيمة:

هناك العديد من الخبرات السابقة المحلية والعالمية والتي قد تعطي بداية جيدة للمعماري والمخطط لكيفية التعامل مع المنشآت الجديدة في المناطق التي تتميز بوجود مباني ذات قيمة بما يساهم في استقرار الصورة البصرية ومرجعياتها في المدن القائمة، حيث يمكن الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة لتلافي مشكلات متكررة، فالمدن تزدهم وتزداد أعداد السكان بها بشكل مطرد وشيئا فشيئا تنتقل المشاكل التي تعاني منها المدن الكبيرة إلى المدن الأقل حجما.

فمدينة القاهرة هي أكبر المدن المصرية والتي يمكن القول بأن معظم ما تتعرض له المدن الصغرى من مشاكل تخطيطية ومعمارية قد تواجدها بها وسعى المعمارين والمخططين لحلها، وهنا يجب على المعماري والمخطط الذي يعمل في المدن الصغيرة والتي في طور النمو أن يستفيد من تلك التجارب عند التعامل مع المشاكل التي تواجه بحيث لا تتكرر الأخطاء.

فعلى سبيل المثال مشكلة الكباري العلوية وعلاقتها بالمباني الأثرية وذات القيمة قد تم التنبيه لها مثلا في منطقة الأزهر بالقاهرة وتم إنشاء نفق الأزهر والتفكير في إلغاء الكوبري الحديدي العلوي (هذا المشروع يتيح لأول مرة تحويل الساحة بين الجامع الأزهر ومسجد الحسين إلى ساحة للمشاة مما يحسن من الصورة البصرية للمباني ذات القيمة بهذه المنطقة^[١٧])، وبالرغم من ذلك نجد الكباري العلوية يتم تنفيذها في باقي المدن (ومنها ميدان المنفذ) وتحدث مشاكل نتيجة استخدامها ونحاول حلها، مما يعني أنه في معظم الأحيان تفنقد الدراسات التخطيطية للتكامل مع الدراسات البصرية وهو ما يتبعه بالضرورة مشكلات يتم البحث عن حلول لها في مراحل تالية.

وتقدم تجربة بريطانيا أسلوباً متميزاً للتعامل البصري مع المباني ذات القيمة، حيث تلزم قوانينها الراغبين في استصدار تراخيص البناء المرور خلال جهازين للإشراف وإجازة الرسومات المقدمة [٢]:

الجهاز الأول: الخاص بمناقشة ومراجعة قوانين التخطيط الخاصة بحدود وزوايا الرؤيا وأنواع ومواد البناء وخامات الشبائيك والأسقف ودرجة ميل هذه الأسقف وموقع المبنى مع حدود الطريق وكذلك المسافات الفاصلة بين الجار والمبنى وأشكال الأسوار وخامات التنفيذ ومواقف السيارات الخاصة والبوابات إلى آخره من العناصر المؤثرة على المظهر العام، وتقدم هذه الرسومات إلى لجنة اشتراطات قوانين التخطيط والتصميم الحضري، ويكلف أعضائها بزيارة الموقع والاتصال بصاحب الرسومات لبدء الحوار من أجل تقريب وجهات نظر اللجنة ووجهة نظر الرأي الآخر.

الجهاز الثاني: يقوم بتطبيق قوانين المباني البحتة كسلامة التصميم الإنشائي ودراسة الصحي والكهرباء ومساحة المناور إلى آخره، وتسمى لجنة تراخيص المباني.

وبالنظر إلى الوضع المطبق في مصر نجد أن الجهاز الأول غير متواجد، أما الجهاز الثاني فهو الوحيد الذي له السلطة في استصدار التراخيص للمباني من خلال مراجعة السلامة الإنشائية للمبنى وتطبيقه لقوانين المباني من ارتفاع وبروزات، بينما الجوانب الأخرى لا يوجد لها أي معايير تحكمها وهذا ما ينقص الجهاز القائم على تراخيص المباني في مصر، ونحتاج إليه لكي يتحقق التلاؤم بين المنشأ المراد الترخيص له مع البيئة العمرانية المحيطة.

٥- الخلاصة والتوصيات:

١-٥ الخلاصة:

كما اتضح لنا من الدراسة فإن المشكلات البصرية تنتج غالباً من افتقاد المباني والمنشآت الجديدة للدراسات المتكاملة والتي قد تكفل تحقيق الاتزان البصري للمدينة، فعلى سبيل المثال فإن عدم انسجام المنشأ الجديد وتجانسه مع المباني المجاورة قد يمثل اعتداءً على المجال البصري للمباني ذات القيمة كما يمكن القول بأن الدقة في اختيار الألوان ودراسة الارتفاعات لها دوراً مهماً في الإدراك البصري.

٢-٥ التوصيات / منهج عمل للتعامل البصري مع المباني ذات القيمة:

إن دور المعماري والمخطط لا يقف عند تحقيق البرامج الوظيفية وإرضاء رغبات المالك، ولكنه يمتد ليشمل مراعاة الجانب الإنساني والعوامل البيئية والنواحي الجمالية بحيث يكون أي عمل عمراني جديد متكاملًا مع النسيج العمراني للبيئة المحيطة، وهذا لا يتطلب بالضرورة مصاريف وميزانيات إضافية، ولكن يستلزم الإحساس بالجمال وأهميته لحياة الإنسان كما يتطلب والأسس والقواعد التي يمكن من خلالها إعداد تشكيل عمراني جميل للمدينة [١].

ومشكلة التلوث البصري عموماً والتعدي البصري على المباني ذات القيمة يمكن تصنيفها ضمن المشكلات غير التقليدية والتي تحتاج لحلول غير تقليدية في التعامل معها، وهذا يعني بالضرورة أن على المصمم والمخطط أن يبحث عن السبب الأساسي للمشكلة والذي من خلال التعرف عليه يمكن حل المشكلة بشكل جذري وليس علاج لظواهرها، فمشكلة التزاحم المروري في منطقة وسط المدينة بمدينة أسيوط ترجع بشكل كبير إلى انقسام المدينة إلى شطرين يفصل بينهما شريط السكة الحديد الذي يجعل من الصعب التواصل بين أجزاءها المختلفة إلا عن طريق عدد من المنافذ القليلة التي تحدث عندها دائماً مشاكل مرورية. وقد كانت الأفكار التي طرحت لحل هذه المشكلة تركز على حل هذه المشكلة عن طريق الكباري العلوية لدفع سيولة المرور، ولكن بمعالجة المشكلة من جذورها يمكن الوصول لتدفق أكبر للمرور وتوحيد شطري المدينة عن طريق جعل شريط السكة الحديد يمر في نفق أرضي وبذلك يتم ربط الشارعين على جانبي شريط السكة الحديد مع جعل المنطقة أعلى النفق منطقة خضراء مع توفير فتحات التهوية اللازمة للنفق في هذا الشريط الأخضر، هذا الحل يلغي الحاجة إلى

الكباري العلوية التي تشوه منظر المدينة وتعيد السيطرة والإدراك البصري لبعض المباني ذات القيمة في المدينة.

يمكن التعامل مع مشكلة إدراك المباني ذات القيمة في المدينة المصرية من خلال منهج ذو شقين: أولهما على المدى القريب ويتمثل في التحكم في النوعية البصرية للمباني، والثاني يحتاج وقت أطول وجهود متنوعة لرفع الإحساس بالجمال وتقبله بما يساعد على توفير البيئة المناسبة.

الجانب الأول: منهج عمل للتعامل مع النوعية البصرية على المدى القريب: من الممكن عمل تصور مسبق للطابع البصري المميز لكل مدينة، وطابع خاص لكل شارع من حيث استخدام عناصر مختلفة في أشكالها وألوانها وواجهاتها في كل شارع أو ميدان مع تصميم مفردات معمارية وألوان معينة يمكن للمعماري الاستعانة بها عند قيامه بتصميم منشأ جديد في المدينة، ولا يمثل ذلك تقييدا لإبداع المعماري وقدرته على ابتكار واجهات جديدة للمباني؛ ولكنه يساعد على تحقيق نوع من الانسجام بين ما يقوم به المعماري من ابتكارات والبيئة المحيطة وبخاصة في حالة البناء بجانب المباني ذات القيمة.

ومن الممكن تشكيل لجنة (يمكن تسميتها لجنة التخطيط والمحافظة على الطابع العام للمدينة وجمالها) ويكون أعضاء هذه اللجنة من ذوى الخبرة المعمارية والفكر والذوق العام، ويوكل إليها سلطة مراجعة تخطيط وتطوير البيئة العمرانية، وتقييم مدى تجانس المنشآت الجديدة مع المحيط العمراني من حيث الارتفاع واللون والمفردات المعمارية، ويكون لها سلطة منع الأشكال والتصميمات الغير مرغوب فيها، وتجتمع تلك اللجنة كل شهر للبت في الرسومات المقدمة للحى بعد إجازتها من ناحية الاشتراطات البنائية المختلفة، ولا بد من موافقة هذه اللجنة على أي اقتراح بإنشاء مشروع كبير أو كوبري علوي، وتزداد أهمية دور هذه اللجنة في المناطق الأثرية والتاريخية (ذات القيمة)، ففي تلك المناطق من المهم الحفاظ على البيئة بقيمتها الجمالية المتوارثة وليس خلق بيئة جديدة.

الجانب الثاني: منهج عمل للتعامل مع النوعية البصرية على المدى البعيد: هذا الشق يقدم اقتراحات لرفع الوعي الجمالي، وحيث أن العمارة هي حصيلة جهود مشتركة بين المعماري والمجتمع والجهات التنفيذية لذا فأي جهد يجب أن يسير في المحاور الثلاثة كما يلي:

- **فيما يتعلق بالمعماري:** توعية المعماري من خلال دراسته المعمارية وبعد تخرجه بأهمية المناطق ذات القيمة الجمالية والتراثية، من خلال تطبيق أسس ومبادئ النظريات المعمارية التي تساعد على تحقيق الجمال المعماري للواجهات مع التركيز على أهمية دراسة المنشآت الجديدة من خلال البيئة البصرية المحيطة بموقعها وليس دراستها بصورة منفردة.

- **فيما يتعلق بالمجتمع:** هناك دور كبير يقع على المجتمع في مساندة أي جهد يبذل في الحفاظ على التكوين البصري للمدينة، وهو ما يتطلب ضرورة رفع درجة الوعي الجمالي وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة التي تتقل لفئات المجتمع المختلفة التعريف بالقيم الجمالية والتاريخية للمناطق وأهمية الحفاظ عليها بحيث توفر البيئة الثقافية المناسبة التي تساعد المصمم وتسانده في القرارات التي تتعلق بالنواحي الجمالية.

- **فيما يتعلق بالجهات التنفيذية:** يجب الاهتمام بتوعية الجهات التشريعية التي تقوم بإصدار القوانين المحددة والملزمة لتشكيل العمران بأهمية القيم الجمالية للمناطق ذات القيمة والتأكيد على مدى أهمية التشريعات في الحفاظ والتحكم للصورة البصرية ومتابعة هذه التشريعات ومدى تطبيقها.

٦- المراجع:

١. إبراهيم مصطفى الدميري (٢٠٠٠)، الاعتبارات الجمالية والتلوث البصري للوجه الحضاري لمدينة القاهرة - رسالة دكتوراه غير منشورة - قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.
٢. أحمد عماد خضري (فبراير ١٩٨٨)، دور التشريع في التنظيم والحفاظ على القيم الجمالية في الشارع المصري وطرق تطبيقه - المؤتمر العلمي الرابع لكلية الفنون الجميلة - جامعة المنيا.

٣. أحمد محمد رفعت (٢٠٠١)، دراسة الاعتبارات التصميمية لمحور الاقتراب إلى المجموعات المعمارية بالمدينة المصرية - رسالة ماجستير غير منشورة - قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط.
٤. إسماعيل عبد العزيز عامر (١٩٨١)، الأعمال التخطيطية والمعمارية الملوثة للبيئة بصريا بمدينة القاهرة - مجلة جمعية المهندسين المصرية- القاهرة، مصر.
٥. حازم محمد إبراهيم (مارس ١٩٨٦)، أسس التشكيل العمراني- عوامل التركيز البصري - مجلة عالم البناء، العدد ٦٧، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية- القاهرة، مصر.
٦. حازم إبراهيم (١٩٨٨)، تشكيل البيئة العمرانية - مجلة عالم البناء، العدد ١٢، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية- القاهرة، مصر.
٧. خالد عزب (يناير ٢٠٠٢)، عودة الروح إلى القاهرة القديمة مشروع طموح لترميم آثارها ونسيجها العمراني - مجلة المدينة العربية، العدد ١٠٦، منظمة المدن العربية.
٨. شوكت القاضي (١٩٩٠)، دراسة تحليلية لعمارة المساجد في المدينة المصرية المعاصرة - رسالة ماجستير غير منشورة - قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط.
٩. شوكت القاضي، عزت عبد المنعم (١٩٨٨-٢٠٠٢) - مجموعة صور خاصة.
١٠. صديق محمد عفيفي (١٩٨٥) محاضرات في العلوم السلوكية - كلية التجارة، جامعة المنوفية.
١١. عزت عبد المنعم مرغني (١٩٩٢) العوامل المؤثرة على اختيار الشكل في العمارة، دراسة تحليلية بهدف تقييم أداء الشكل في العمارة المصرية المعاصرة - رسالة ماجستير غير منشورة - قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط.
١٢. ماجدة متولي (مارس ١٩٨٨) القاهرة بين الطابع الحضاري والتلوث البصري للبيئة العمرانية- ندوة التلوث البصري والنواحي الجمالية- جمعية المهندسين المصرية- القاهرة، مصر.
١٣. مرفت مأمون خليل (٢٠٠١) المشكلات التي تواجه عمليات تأهيل وتطوير مراكز المدن (حالة دراسية - مدينة جرش / الأردن) - ندوة التراث العمراني في المدن العربية، وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة - الأردن.
١٤. مهند محمد العجمي (أبريل ٢٠٠١) الارتقاء بمراكز المدن التاريخية بالجنوب اللبناني بمفهوم جديد اعتمادا على الخبرات والتجارب السابقة - مؤتمر جنوب لبنان التحدي الحضري في زمن التحرير- كلية الهندسة المعمارية، جامعة بيروت العربية.
١٥. لبنى عبد العزيز أحمد مصطفى (٢٠٠١) الارتقاء بالنطاقات التراثية ذات القيمة-توثيق وتقييم لتجارب الحفاظ على القاهرة التاريخية - رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الهندسة، جامعة القاهرة.
١٦. ----- (١٩٩١) دراسات استطلاعية للمشاكل البصرية في مدينة أسيوط - طلاب الفرقة الرابعة، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط.